مدخل لقراءة

تجربة الشعر في المغرب العربي

بقلم أحمد المديني

يستطيع الدارس المتتبع لنشأة وتطور الادب المغربي ، في خصوصيته ، والادب العربي ، في عموميته وشموليته ، أن يلمس ، دون عناء كبير ، وبنوع من الوثوقية ، أي تجاوب وتفاعل قائم بينهما ، لا نكاد نستثني في ذلك أي فن من الفنون الادبية ، المشربة والمشبعة بصنوف شتى من التأثر ، بل والاقتباس والتنسيج المتطابق ، أحيانا ، فمنذ أن عرف الاسلام الديار المغربية وأصبحت العروبة مقوما أساسيا من مقومات كيانها والمشرق قبلة المغرب يتوجه اليه في كل ما استعصى عليه من الامور الفكرية والسياسية ، ويلتفت نحوه مستمدا منه اشعاعاته التي يعتبرها الاشعاعات الحقيقية ، رغم بعد المسافة وتباين الحكام واختلاف الولاءات . ولقد كانت النظرة الى المشرق العربي وظلت الى أمد طويل مشوبة بنوع من الجلال الخاص ، بعبارة واحدة، تنظر اليه على انه الاصل وسواه الفرع ، ومن ثم فان « المثقف » المغربي ففيها كان أم مؤرخا أم أديبا وباختلاف العصور وتواتر الدول والدويلات لم يكن يجد بدا من أن يشرئب بعنقه دوما الى الينبوع يمتح منه ما طاب له أن يمتح ، وما كان لحظة واحدة ليتساءل ان كان سيتفوق أو يقتحم عالما فكريا أو يغامر في رؤية مستقلة تعطي لفكره او شعره الانفراد ، اذ حسبه أن يأتي نثره أو شعره على غرار شعر البحتري أو أبي تمام اذا أمكن أو سواهما ممن تأخر به العصر ، بل انه ما كان يطمح أن يبلغ جودة هذين الشاعرين أو ان يعطي نثرا شبيها بما أعطاه الجاحظ أو أبو حيان التوحيدي ، وغاية منشده أن يكون ناجه قريبا من معاني هؤلاء وصورهم ، منتصدا اغراضهم وافانين شعرهم ونثرهم ، بحورا وقوافي وبلاغة وأسلوبا .

وحين انتقل جزء من الخلافة الاسلامية الى الاندلس ، وأقام العرب في شبه جزيرة ايبيريا دولتهم التي سيحاولون بها محاكاة ومباهاة المشرق والغرب ، معا ، تحول « المثقف » المغربي عن الاصل وانتقل يحاكي الفرع ، أي الاندلس ، وما حفلت به بلاطاتها واقياؤها ، من اجادات في شتى الاغراض الشعرية ، واذا بسمات وخصائص الشعر المغربي تتكون وتستخلص عبر مرحلتين من التقليد ، اي عبر تقليد التقليد ، الشيء الذي لم يكن قادرا على خلق عالم فكري او ابداعي يحمل بذور أصالة أو يعبق بخاصياته المتميزة ، واذا كان الشاعر الاندلسي قد حاول ، وفي حدود غير مطلقة ، أن يتحرر من ربقة الانشداد الى مصدره الاولي وذلك بما أتاحته البيئة ومكونات الوجود الخاصة التي حفلت بها الاندلس ، فان شاعر المغرب ظل أسير هوى اقتفاء صور الآخرين والنسج على منوالهم .

ولذلك لم يكن بالامر العجيب أن يساوق الركود الادبي والجمود وتيبس القوالب وجفاف المخيلة الشعرية في المغرب نظيره في المشرق ثم ان يتاح له الانبعاث والتحرك من جموده عقب مرحلة البعث ، بشتى اشكالها ، كما ظهرت بعيدا عن غرب العالم العربي .

ان الحاحنا على هذا الارتباط والاقتران لا يريد أن يجني او ينتقص من قدر المساهمة المغربية في تراث الثقافة والشعر العربي عامة ، ولكنه نابع من استقراء شامل لسيرة هذا التراث عبر خطواته ومراحله المختلفة ، الى أن تيسر له أو سيتيسر له الوقوف ، أخيرا ، عند أبواب العطاء ، الخاص ، والتفرد الواحد . كما ان وجود المثال الواحد أو الامثلة المحدودة ، خلال هذه المسيرة ، أو في لحظات مشعة منها ، لا يمكن بأي حال أن يلغي الطابع السائد فيها أو ينفي خاصية التشبث بالمحاكاة والحرص على الوجود في موقع الصدى ورجع الصدى ، وانما يزيدهما تأكيدا ، سيما واننا حين كنا نتعثر في بدايات هذا القرن كانت قلوبنا وعقول ومخيلات ادبائنا ملتفة أيضا صوب تلك الربوع تحاول أن تأخذ منها النفس لتنبعث وتنطلق وتستعيد حضورها الغائب .

ولربما كان من المستحسن هنا أن نضيف أن الانطلاق لم يكن مقصورا على مجال الادب وحده ، بل كان مسبوقا باليقظة الروحية والعقيدية التي تمثلت أجلى ما تمثلت في ظهور الحركة السلفية في المغرب ، وترديد قيم العروبة والدين الحنيف ، ولم يكن أبو شعيب الدكالي سوى ذلك الطالب الذي رحل الى المشرق ودرس على مشايخه وجالس علماءه ثم عاد لينبت زهراته اليانعة التي ستعبق في أعطاف من سيتحملون مسؤولية البعث الفكري والسياسي لمجابهة المستعمر في حملته لاحتلال البلاد واجتثاث كل مقوماتها الدينية واللغوية والحضارية .

ولقد ارتبط بهذا البعث الديني بعث ثقافي واجتماعي أخذت الصحافة الوطنية ، التي تهيأ لها الظهور ابتداء من أوائل الثلاثينات ، اخذت على عاتقها ابرازه والدعوة اليه وبسط مفاهيمه وغرس جذوره، عن طريق المقالات الاصلاحية والكتابات المتقصدة الاغراض الاجتماعية، تعكس في مجملها مضامين الدعوة الى النهوض ونبذ الركود وتعكس بأساليب نثرية ، مسترسلة ، نسبيا ، ما أخذ يشغل الناس في ظل المرحلة الاستعمارية ، وبعد ان اصطدمت قيمهم بقيم دخيلة وصار كيانهم ينطوي في اطار كيان وافد ذي قوة كاسحة .

أما الشعر كجزء من الحركة الادبية الكلية ، فلم يكن ليفلت من التطبع بسماتها وما كان لينعزل عن السياق الاجتماعي والسياسي العام، وانه نوع من الحيطة أدرك ان قيود الماضي مربكة والتفتح على الحاضر يستلزم الاسترفاد بطاقة جديدة . لقد كانت تلك أولى المعضلات التي جابهت شعرنا ، وان لم يلتفت اليها أو لعله ما كان يملك الوعي المطلوب لاستشعارها والتهيؤ للاجابة عنها ، هذه الاجابة التي لم تتأكد بدايات تكونها الا بعد مرور زمن طويل على ذلك ، وحين سيصبح الشاعر على عتبة التأزم الاجتماعي وفي خضم الارهاصات الاولى لانطلاق الصراع الطبقي ، بعد الحصول على الاستقلال ، حينئذ

سيشرع ، أو سينتقل من رتابة الاجترار والتطواف في ردهات الموروث الشعري ، ليقتحم مغامرة ما سيظهر في البيئة الادبية ، تجددا وخروجا على المألوف ، وما هو كذلك بالقياس الى حركة التجديد والحداثة الشعرية التي كانت قد سبقته بما يقرب من عقدين من الزمن .

أقول ان الشعر الذي ارتبط بمرحلة النهوض راح يبحث عن نفسه ، سواء من حيث الشكل أو المضمون ، ذلك البحث الذي لم يكن في البداية لاهثا أو مضنيا ، فالقالب جاهز والمفردات والصور الموروثة مبذولة والاغراض متيسرة ، كما أن الاذن صاغيه لما ينظم أو يوضع في مصر على الخصوص ، من أشعار ، وكانت الحمية الوطنية تسري في النفوس ويشتعل بها الوجدان ، وخاصة بعد تيقظ الضمير الوطني ، وانخاذه صورة مجابهه يومية ومطلبية للتحرر من الاستعمار وأعوانه ، تلك الحمية وجدت صفاءها في الشعر الوطني ، بل ان هذا الشعر كان احدى ادوات التحريض والحث على التصدي والمجابهه والفى نفسه وهو يخوض غمار هذه المهمة يتخلص ، بعفاء ، من قيود الشكل العتيقة ، أي بابتعاد ونجنب للمربكات البلاغية والقاموس اللغوي المحنط ، وكان الموضوع المطروق نفسه والرغبة في اختراق الاسماع وتحريك المشاعر العامة ، يستلزمان منه ، أن أراد حقا أن يكون ذا وقع في النفوس ، أن يجنح به ، ما وسعه الامر ، الى التبسيط والفتح ، لكنه ، في كل ذلك ، لم ينجح أن يكون علامه مضيئة وخطوة مبادرة ، ذات خط تأسيسي في نهج مبادرة الحداثه وافتحام آفاقها .

وسيكون علينا أن نترك هذا الضرب من الشعر لضحالته ومحدودية نفسه وخلوه من أي ابتكار على صعيد الخلق الفني ، لنتجه الى المقطوعات الشعرية القليلة والمتناثرة محاولين تلمس خط البحث ومعنى التحول ان وجدا ، وسنعثر في هذه المقطوعات على ترديد وصدى للواعج النفس وحرقات الهوى أحيانا ، واحساس غامض من الحيرة والقلق ، وافتتان بالطبيعة وما تبهج به الروح من سكرات ورعشات . وربما نسرع باحث عابر ووقف عند تلك المقطوعات والاحاسيس متوسما فيها ومضات خاصة تبرق من بعيد تنوحي بالقلق الشعري الذي سينجم عنه لا محالة الوضع الصحي المبلور لقصيدة الحداثة في الحاحها الخاص على عنصر الذات وأطراح الموضوعية الجافة والحياد البارد ، ولكن هذا الباحث ، ان هو استخدم ثقافته الشعرية ، لن يجد في تلك المقطوعات الا ترديدا ملما وأحيانا عنيدا لما عرفت به حركة الشعر المهجري ولكل المواصفات العامة لتلك الحركة ، وذلك بالقدر اليسير الذي أمكنها أن تعرف به في المغرب ، عن طريق ما كان يتوفر لدى أدبائنا من صحف ومجلات أدبية مشرقية ، ولن يلبث ، أيضا ، أن يعثر فيها على أصداء خافتة ، حينا ، وأصوات ضاجة ، حينا آخر ، لحركة مدرسة الديوان وما رافقها أو أعقبها من تيار رومانسي ووجداني .

ان اشعار شعراء مثل محمد الحلوي ، عبد الكريم بن ثابت ، عبد المجيد بن جلون ، محمد السرغيني (في مرحلة نشأته الشعرية) ومحمد الحبيب ، وسواهم ، لا تكاد تخرج عن هذه العوالم ولا تكاد ترتاد آفاقا تتجاوزها .

وهكذا ، فنحن عبثا ننشد قصيدة الجدة والحداثة في ما تخلف لدينا من شعر الفترة التي امتدت من بدء العمايه (١٩١٢) الى اعلان استقلال البلاد (١٩٥٦) . كذلك من غير المجدي في شيء أن نتقصى في هذا الشعر اكثر من بعض المعايشة والتتبع لما كان يحاذيه ويترعرع وسطه ، ليعكسه أو يتشبع به . وما نحسب الا اننا نطال محالا ونحن نريد للنبتة التي أينع عودها في مشرق العروبة فأعطت حركة البعث وما استتبعها من تيارات وروافد امتدت حتى ظهور القصيدة الجديدة ، نريد لها ان تعطي نفس الاغصان والثمار .

لقد كان المشرق بمثلك المبادرة والتحدي ، والمغرب قصارى جهده أن يستجيب للتحدي ، بصورة سلبية ، أي باقتفاء الاثر والاستمداد الوفي ، كما اننا كنا نعدم البيئة الادبية والمناخ الثقافي ، الشعري والنقدي ، الذي يجعل قرائح الشعراء تتفتح ومواهبهم تزهر ومكبوتاتهم تنطلق ، ان هي الا شذرات وقصائد تنطلق في مجرى بلا حوافي ، لا قنوات تسير بها ولا جو يحدب عليها ولا نقد يرعاها وينير مسالكها من نحو آخر ، وهو الامر الذي ما زلنا نفتقر اليه حتى الآن بالجدية والحضور المستمر ، أضف الى هذا ان الشاعر كان شاعرا ونائرا ومصلحا اجتماعيا ومدرسا في الحركة الوطنية ، بحيث انه لم يكن يتوفر على موهبته التوفر الكامل بما يجعله يقعد لها ينميها ويقتلع أشواكها ، وكثير من شعراء المرحلة التي نتحدث عنها جمعوا بين اكثر من شاغل ، وفي الوقت الذي كانوا يضعون القصائد والمقطوعات كانت أقلامهم تمارس تطويع الكتابة النثرية وتخلصها من الاسجاع والمحسنات اللفظية المتكلفة ، وتنسج أيضا ، الخيوط الاولى للقصة الطويلة والقصيرة ، أو لما سيصبح فيما بعد ، وعقب شوط طويل من الزمن ، قصة حقيقية .

غير ان هذا الشعر بأنماطه وأشكاله ، والذي امتد حتى السنوات الاولى من الاستقلال ، كان له ، ولا شك ، دوره الاكيد في تهيؤ النفوس واعداد المواهب لاستقبال تيار التجديد الشعري الوافد ، وإلانتقال ، بعد ذلك ، بالقصيد المغربي من الدوران في محيط الشعر العمودي الى تلمس الطريق نحو الشعر الجديد ، أو شعر التفعيلة .

* * *

اعتاد بعض الدارسين العرب أن يقرنوا ، بنوع من البداهة والآلية ، بين التواريخ الحاسمة في تاريخ الامة العربية وبين تولد الظواهر الفكرية ونشأة الفنون الادبية ، وكان ما يصح أن ينطبق على ميدان السياسة يجد أثره المباشر ، أيضا ، في المضمار الفكري والادبي .

والحق ان حصول المغرب في سنة ١٩٥٦ على استقلاله ، الذي لم يكن الا شكليا ومتفاهما عليه ، لم تنجم عنه بالضرورة عملية تغير في البنيات الفكرية والادبية ، ذلك انه اذا كان الوجود الاستعماري قد ارتفع سياسيا وإداريا ، وأعلنت السيادة للمغرب ، الا ان حضوره الفعلي في أشكال هيمنته الاقتصادية والثقافية ظلت وطيدة ، وما يزال المغرب الى اليوم ، أو الفوى الحية فيه تناضل ضد هذه الهيمنة ، يضاف الى ذلك ان الانقشاع الظهري للاستعمار ارتبط مباشرة بتسلط بورجوازية الحركة الوطنية لتحصد غنيمة « الاستقلال » وهي التي كانت تهيىء نفسها ، سلفا ، لهذه النيابة التاريخية بعد أن أعدت أطرها من أبناء الذوات في جامعات فرنسا واستحضرت كامل قواها لاقتسام المصالح الاقتصادية مع الاستعمار الجديد والقيام بعمليات مختلفة لتصفية تحركات وشعارات الصمود وخنق نفس المطلبية التحررية ، بمعناها العلمي ومحتواها التقدمي .

ومن نحو آخر نجد ان الائتلاف الوطني وتكاتف كل القوى الشعبية في جبهة الحركة الوطنية ، وبالذات من وراء حزب الاستقلال ، مع المد الفدائي الذي عرفته السنوات الاخيرة من منتصف الخمسينات ، ما كان ليستمر في تماسكه المؤقت والمرحلي ، وما كان ليظل قادرا على استيعاب كافه أطراف الصراع التي تحركت في رحم مجتمع ما بعد الاستقلال ، أو فهم تصوراتها وقبول اقتراحاتها بشأن التطور المستقبلي لمغرب جديد يغاير في جوهره الرؤية البورجوازية وينطلق من موقع طبقي مغاير لموقف الوصاة عن الحركة الوطنية ، ولذا فقد استتبع هذا الواقع ، بالحتم ، انبثاقا لتيارات طمحت في تنظيمها وممارستها السياسية ، فيما بعد ، الى تأطير القوة الشعبية التي وجدت نفسها صفر اليدين من كل شيء ، وقد استبدلت محتلا أجنبيا بمستغل محلي ،

مع وجود الفارق بالطبع ، وكان أجلى مظهر لهذا التأطير ولادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في دجنبر ١٩٥٨ كإيذان بظهور قوة سياسية وضعت لها منذ ذلك الحين ، شعاراتها الاساس التي استهدفت التحرر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي كأهداف كبرى ، صاغت لها ، وبنوع من التجريب والفهم النسبي ، مخططاتها ووسائل تطبيقها .

وقد كان يساوق هذه الانتفاضة على المستوى السياسي شعور بعدم الرضى على المستوى الادبي ، كان يتمثل في رغبة لتجاوز ما هو قائم من قصة وشعر ونقد والانتقال به الى أفق أرحب وبفهم أميل الى التجديد من الانحباس في القوالب الكلاسيكية ، ويظهر هذا على الخصوص ، بالنسبة للقصة القصيرة والشعر .

فالقصة القصيرة التي بقيت لمدة عقدين ، أي الاربعينات والخمسينات ، تتلمس طريق التشكل ضمن القالب الكلاسيكي الذي لا يعترف بالقصة خارج اطار الوحدات الثلاث ، والتي مرت ، على يد أقلام مختلفة ، بصياغات مختلفة تتفاوت بين الفصحالة والقصور الفني وبين محاولة استكمال شروط القالب الكلاسيكي ورصد الموقف القصصي ، نجد هذه القصة في أواخر الخمسينات تحاول أن تقطع شوطا اكبر في فهم التجربة القصصية ونسيج كتابتها ، ولا بد من أن يظل الغرض الاصلاحي أو الاجتماعي المباشر ، والفج ، هو مهمازها ، نجدها تطمح الى فهم بواعث القص القصير ، أي الشرط الموضوعي لنشأته ، والذي يجعل منه لحظة وعي مكثفة للتعبير عن شريحة اجتماعية ذات انتماء الى الطبقة الوسطى في أزماتها المختلفة .

أما الشاعر فلعله كان ينصت ، في آن واحد ، الى ذاته والى أصداء التجديد التي كانت ترد عليه واهنة ، خافتة .

كان ينصت لذاته ، لان زحمة الاحداث ووعي ما يجري حوله كانا يلزمانه بذلك ، ولانه ، من نحو آخر ، لم يكن قادرا على حسم الموقف الفني أو احداث بعض الشرخ فيه صنيع ما تبلور في الساحة الاجتماعية ومؤهلاته الثقافية والابداعية تفعد به عن طموح اطلاق سراح موهبته من القصيد التقليدي والتحليق في أفق التجديد المطلوب .

وكان ينصت الى أصداء التجديد ، تصله متأخرة ، بعد أن كان الشاعر العربي في المشرق قد كسب معركة الشعر (الحر) أو كاد ، وبعد أن تواترت التجارب الشعرية الجديدة ناصمة عرى القصيدة العمودية ، مخلخلة مرتكزاتها وأبنيتها ومضامينها ، ينصت اليها فتلقى هوى في نفسه ولكن لا تصادف الجرأة الكاملة للنسج على منوالها ، ولعله آنذاك كان يؤثر أن يتلقى قبل أن يجازف بانتحام المجهول .

والمجهول هو ذلك الدرب المعتم الذي خطا فيه الشاعر المغربي خطوات سابقة ، ويريد اليوم أن يضع فيه خطوات راسخة ، فينتقل من شعر المناسبة والغرض الى الشعر الذي ينفجر من النفس تعبيرا عنها وتوليدا لعذاباتها دون ورود للمناسبة أو القصد . ان الغرض مربك ومقيد ، أما تطليقه فيفتح ثغرة بل بوابة تعبر منها احاسيس الذات المنقبضة أو القلقة أو المبتهجة وتأتي أكلها في القصيدة الغنائية تحمل أما بدوات الشاعر وسرحانه أو الهموم الجماعية دون مباشرة فجة وجاهزة .

غير ان المجهول الاكبر والاوعر بالنسبة للشاعر المغربي هو افتقاره الى الاسباب الجذرية والحوافز الخلاقة التي تحث على التجديد وتطلقه من أسر القديم المحنط ، وهو عكس ما كان قائما في مشرق بلاد العروبة ، فالشعر الجديد أو (الحر) كما اصطلح على تسميته فترة من الزمن والذي ربطت نشأته بسنة ١٩٤٨ ، لم يولد جزافا ولم يأت شاذا عن الاهتزاز الكاسح الذي عر فه المنطقة ، لقد كانت ولادته صحية وعبر مخاض عسير ، كشكل من أشكال التغير العميق الذي طال البنية التعبيرية بعد أن كانت البنيات السياسية والاجتماعية قد تخلخلت أو على وشك ذلك ، أضف الى هذا ان الاتصال الحميم والارتباط الذي تحول ونيئا بين الشاعر المشرقي ومحمولات الثقافة الغربية ، أصلية ، أو مترجمة ، وما سبق ذلك من اسباب البعث ، قد هيأت له ، ولا ريب ، مناخ الحركة وأمدته بطاقة الانطلاق ليكسر العمود الشعري ويقترح النفعيلة كبديل ملائم ، وينقل الشعر العربي ، رغم أنف سدنة المحافظة والجمود ، الى فضاء الخلق الشعري ومضمار المعاناة لهموم الفرد والجماعة .

لم يتوفر للشاعر المغربي شيء من هذا ، رغم ما ألمحنا اليه من تبدل الظرف الاجتماعي والسياسي وتأثيرهما على تحريك الفنون الادبية . فلزم اذن مرور وقت غير يسير كي يتوفر على النتاج المشرقي وينصت اليه ويعكف ، فيما بعد ، على درسه وفحصه .

ولكن خلال عمليتي الانصات والدرس لم يخمل أو ينكمش بل ظفق يجرب موهبته ويضع اللمسات الاولى للقصيدة المنشودة ، فكان أن أفرز هذا الشوط حصيلة من المقطوعات والقصائد المتباينة ، من حيث مستوى أدائها واحترازها في الصياغة وفورة التجربة ، الا انها تكاد ، جميعها ، تلتقي حول قطب واحد وهو القطب الرومانسي اذا جاز لنا أن نسميه كذلك ، وهو ما أنتضى من الشاعر ، المستثار بحركة الواقع والملقح بتيار الثقافة والتيارات الادبية الوافدة والمتضاربة ، أن يطلق العنان لمكنونات الذات في حيرتها وأساسها المضمين ، والنسيج ، ولاول مرة ، القصيدة الغنائية ، بمعناها الاصطلاحي في الشعر الحديث ، وهي تحمل شغفا بالحياة محرقا وتردد في أجوائها احباطات النفس البعيدة ، فلا تكاد تحس الا طعم المرارة والاسى .

وكان لهذين الشعورين منبتهما الطبيعي ومصدرهما في الواقع ، من نحو ، كما كانا أيضا من روافد القراءات الاعتباطية في الادبين الرومانسي والوجودي ، من نحو آخر . ان الشاعر المغربي الذي كتب القصيدة الجديدة هو ابن الطبقة الوسطى في المدن ، ابنها البار بلا منازع ، وهي الطبقة التي تشكلت في المغرب من شتات وجماع الفرويين النازحين والموظفين الصغار والتجار الصغار ورجال التعليم والفئات الطلابية والكوادر المتوسطة . وقد كانت هذه الفئات كلها ، أو جلها ، تستيقظ على واقع جديد تتصدر بورجوازية الاستقلال واجهته وتلعب فيه دور الوسيط ، كما تمارس عمليات الاستغلال والتفقير للطبقات الكادحة ، ولذا وجد هذا الشاعر نفسه في موقع النصير لطبقته والمعبر عن ما تقاسيه من حرمان ، فكان البعد الاول لهذا الارتباط أن جاءت القصيدة الحديثة ملتزمة في نشأتها ولو انها تتحرك في مناخ شعري رومانسي ، وهو التزام بطابع الطبقة الوسطى ، والشاعر المحدث أكثر تحسسا لمتاعبها ومكبوتاتها ، بل انه بؤرة الاسى فيها . وجاء البعد الثاني ممثلا في اقتران الالتزام الاجتماعي بنسيج الذات الخاص وانبثاق همومها ، لكن هذين البعدين لم يكونا مرتبطين في علاقة عضوية أو نسيج هارموني ، ولكن في طفرات وطفرات هي أقرب الى الحدس منها الى الهاجس الملحاح الذي لا تجد النفس منه فكاكا . ولم يكن هذا ليجعل القصيدة قادرة على امتلاك صوتها الخاص وعالمها المستقل . صحيح ان الشاعر كان ملك همومه ، ويحس بدبيب الاسى ينقل في دمه وأعصابه ، ولكنه عدم قاموسه ونبرته ، ووجد نفسه في غير ما تجربة ، اما انه يفتقر الى نسيج التجربة ونبضها واما انه يرتدي لبوسا أكبر منه ويستعير ظلالا أطول من قامته ، وفي الحالتين معا ينفلت منه الخيط وينعدم الصدى أو يكاد ، وتظهر المسافة هوة بين التجربة البكر والقدرة على ترشيد البكارة والبداهة ، فان البنية التعبيرية للقصيدة كثيرا ما تأتي مهلهلة ، مفككة ، ويصبح الشاعر المغربي كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى ، ضيع العمود ولم يربح التفعيلة .

ان كثيرا من قصائد السنوات الاولى من الستينات ، وهي

تمارس التمارين الاولى ، لم تكن تكشف ، وما كان لواضعيها العدة لذلك ، الا فهما بسيطا للقصيدة الجديدة كما أبدعها شعراء مثل عبد الوهاب البياتي ، ونزار قباني ، وصلاح عبد الصبور ، وبسوى حصيلة زهيدة من الثقافة الشعرية المنطورة مما تبعثر في المجلات وبعض الكتب الهينة القيمة . وعلى هذا جاء كثير من الشعر أقرب الى الشعر المنثور منه الى شعر التفعيلة أو متراوحا بينها . واربما كان بعض هذا الخلل راجعا الى غياب الفهم الصحيح لاسس الشعر الحديث ونزوعاته ، ففهم المصطلح فهما انطلاقيا وتطليقيا للموروث الشعري العربي بأكمله ، وهو لعمري خلل لم تنج منه المحاولات الاولى في جميع الاقطار العربية .

بيد ان لهذه المرحلة التي غطت أواخر الخمسينات وشطرا كبيرا من الستينات ، قيمتها التي لا يمكن انكارها بما تحمله من مهام ومشاق الريادة . ان شعراء مثل مصطفى المعداوي ، وأحمد الجواري ، وأحمد صبري ، ومحمد السرغيني ، وأحمد المجاطي ، يمثل شعرهم ، في الحقيقة ، بداية جدية في حقل القصيدة الجديدة في المغرب . وقد كانت ، حقا ، بداية واعدة ، لان هذه الاسماء استمرت وواصلت ترسيخ أقدامها في هذا الحقل بثبات ، واستطاعت أن تسجل رؤاها الابداعية المتباينة ، وصبت كلها في بؤرة المعاناة الجماعية ، وقدرت على تحسس صوت الجيل ونبض التطلع الى التغيير .

ان شعر أحمد الجواري ، مثلا ، في بداياته الواعدة وفي القصائد التي نسجها عقب ذلك ، حاول من خلال معاناته الفردية المريرة ، أن يتحسس أوجاع الاسى التي كانت تمسك بخناق جيل ما بعد الاستقلال ، وأن ينتزعها من ضياعها الفردي البحت لتتحول الى قضية تأخذ بعدها الموضوعي من ركام الكبت والاحباط ، حقا لقد كانت المأساوية في خطوطها وألوانها الاولية ، ولم تكن قد تشابكت بعد وتعنكبت كما أصبحت عليه خلال السبعينات الحالية ، ولكن أحمد الجواري امتلك نبوءة تذوق طعمها ، وبالتالي ، التعبير عنها ، وجاء هذا التعبير كاشفا عن موهبة تمتلك قدرات العطاء ، ضمن الفترة الثقافية التي وجدت فيها وفي ظل المناخ السياسي والاجتماعي القائم ، فقدرات الشاعر الفنائي الذي يفرد مأساته بعد ان استقطب في نفسه المأساة الجماعية ، وبسط تجربته من خلاصة الارتعاشة الكلية التي دبت في أعصاب الكل . فان استطاعت قصيدة الجواري أن تكون قصيدة الكل والواحد ، في آن ، فانها ظلت محتفظة بتفردها ، أي بكونها انسمت اكثر من أي شيء آخر بنبوءة الالم الفردي .

بينما نجد أحمد صبري ، منذ بداياته ، ينطلق في مغامرات التمرن والتجريب بروح رياضية صرف لا تعوزه ، وبنزعة تمردية انفرد بها عن شعراء جيله ، رؤية ومبنى ، وقد استمدته مطالعاته في الشعر الاجنبي ، عموما ، والفرنسي ، على الخصوص ، في تكسير ما خيل اليه انه حاجز ، أي في الاستخفاف بشروط الشعر الحديث وهيكله ، ولذلك نجد شعر أحمد صبري أجنبي الاهاب ، مغربي الروح ، ذا جنوح رافض وصدامي ، مشتت الرؤيا بطبيعة تشتت الاهتمامات ، ولكنه الى هذا كله ممتلىء باللحظة التاريخية التي عاشها ، يصعد الآلام والمكبوتات لتأخذ نسق صور متفجرة لا تترك كثيرا من الصدى لان الجيل أيضا كان يسير التجربة وعلى امتداد الستينات ، ونضوج الواقع وانجلاء التناقضات الاجتماعية وأطراف الصراع السياسي بشكل مفروز سيتاح للابداع المغربي ان يشهد قفزه نوعية حقيقية تهيأ له بتهيؤ الاسباب التي قادت الواقع ودفعت به في حلبة صراع متداوم ، بين قوى القمع والارهاب والتسلط والقوى صاحبة المصلحة في التغيير . فلقد تصاعد النضال الشعبي ، عبر الستينات ، تصاعدا لا هوادة فيه ، ووازى هذا التصاعد تسلط سياسي وقمعي أعمى يصون مصالحه الطبقية مصالح حلفائه الذين شدوا من قبضة استغلال الطبقات الكادحة . ولم يكن المبدع المغربي سوى ذلك الفرد المنسحق الذي يبتلع ربق المرارة ويراكم الاحباطات ويهدر في نفسه هدير الرغبة ، ونسيج الاسى الداخلي والحنين الى مطلق مستحيل وعنف رفض وتمرد لا يجد كيف يسر بهما .

ومن طرف آخر ، كان الشاعر المغربي قد أخذ يتزود لحصيلة ثقافية وشعرية هامة ، نقد عكف على قراءة وتمعن النماذج الجيدة في الشعر العربي الحديث ، وتمثل مضامينها ومحمولاتها وأنساقها الفنية ، مضيفا الى هذا تحصيلا فكريا لا يستهان به ، فامتلك ، بهذا ، العدة اللازمة التي تجعله ينقل موهبته من مستوى المغامرة والتمرين الاولى الى صعيد الابداع الشعري الذي سيجعل القصيدة المغربية تنطلق انطلاقتها الصحيحة .

لقد أمكن ، اذن ، لعنصري تجربة الواقع والمعاناة الفردية والتزود الفني والفكري أن يتزاوجا ليمثلا الشحنة الضرورية التي كان الشعر المغربي في حاجة اليها ليقفز من التردد والتقليد الى العطاء الخاص .

وما كان هذا العطاء ليتغافل او يقفز لحظة واحدة عن الصراع الاجتماعي واليومي العارم الذي كانت تعيشه البلاد ، وما كان له أن ينحبس في سجن الهموم الفردية أو يقف بالموهبة عند حدود التأسي أو احتلاب أوصاب الذات . فالشاعر في المغرب ، شأنه شأن الشاعر العربي في المشرق ، قيد له منذ أن بدأ مغامرة أتبحث العسيرة عن قالب يكون في مقاس وحجم جدته ويستوعب الفليان الحار الذي يرشح به مسامه ، فيض له أن يربط الخطوة بالخطوات والحركة الواحدة بالتحرك الشمولي ، والارادة الفردية بالتصميم الجماعي ، ولم يكن البحث الفردي عنده عن الخلاص سوى جزء من البحث الكلي عن مصير أمة تجابه بالتحديات من كل جانب وتريد أن تنتصر على شروط استعبادها وتخلفها ، الشاعر المغربي نظير الشاعر العربي في المشرق أيضا ، من حيث اعتباره للقصيدة الجديدة لا مجرد شكل من أشكال التمرد الفني أو الرفض لذاته ، ولكن كجزء من التغيير العام الذي ينبغي أن يمس بنيات الواقع في مجموعها دون أن يخضع لها ، وبوصفها أداة تكفل له امكانية التعبير عن حركة التغيير والتحريض تحدوثه في آن .

لكن هل يجوز التفريق ، حقا ، بين شاعر مغربي وآخر مشرقي اذا استثنينا الفوارق المعلومة ، وبالذات تباعد المسافة في امتلاك مبادرة التجديد الفني ؟

ان المصير المشترك عبر خصوصية الواقع المحلي وملابساته الذاتية جعل القصيدة في المغرب تقترب من مستوى النسق الهيكلي والمضموني للقصيدة في المشرق وان بتفاوت لا منأى عنه ، وجعلنا في مواجهة مع ميلاد القصيدة الموضوعية على يد ثلة من الشعراء نخص بالذكر منهم : أحمد المجاطي ، محمد الخمار ، ومحمد السرغيني ، وهؤلاء الثلاثة استطاعوا في النصف الثاني من الستينات بناء صرح الشعر المغربي المعاصر وتقليص زعانف الضحالة والبساطة المبتذلة ومجانبة النزعة العاطفية الرخيصة والحس الرومانسي الرتيب ، وتجاوز الغنائية المونتونية الى أفق شعري أكثر تماسكا وامتلاء ينظر الى الواقع في نقطته المركزية أو يحاول التعبير عن مركزيته وتقديمه في كثافته العميقة ، التي اذا مستها الضبابية فان الاستغلاق لا يعرف طريقها ، أفق شعري سيزخر برؤية ذات طبقات متراكبة تمتح من القديم في اشعاعه وتقدم الجديد نسيجا متفردا هو جماع رؤيا مأساوية ، كل شاعر سيعطيها طعمها الخاص من وحي تكوينه ووجدانه ومعاناته .

تقدم تجربة أحمد المجاطي نموذج الشاعر المغربي الاصيل الذي عكف على شعره عكوف الشاحذ والمتأمل والدارس ،وعكوف من استغرقه واقع بلاده المتماوجة بضروب القهر والصراعات السياسية والاجتماعية

وانشد الى الحيـاة انشدادا صوفيا جعله يبلو الكثير من محنها ،وهو انشداد سيجعل تجربته تعرف تطورا نوعيـا سريعا ، بالقياس الى شعراء جيله ، وتفرد لـه مكانة متميزة ومتقدمة تماما عنهم .فالقصيدة الشعرية عند المجاطي لا تاتي بنت الرغبة في التنفيس عن مكبـوت ، او وليـدة تضخم انفعالي ، كما انها لا تتعامل مع الواقع تعاملا فوريا او تسقط صوره الواضحة وعيوبه واوضاره البادية لكـل ذي بصر ، ولكنها تنعزل عـن الضجيج اليومي وتنفلت من ركام الانفعال الحدثي والاثارة السريعـة لتاوي الى بحران ذات مكثفة تعمد الى استنباط الرؤية الشعرية وصوغ التجربـة ذات الابعاد الذاتية والواقعيـة والحضارية فتتشكل القصيدة خيطـا من دم ووهجا من نار ونزيفا من احباط متكالب ، وتظهـر فيهـا شمولية النظـرة الى الواقع والبصر بتضاريسه الخارجية وتكويناته الداخلية ، يساعده على ذلك رسـوخ قدم في فهم التراث الشعري القديم وسبر اغواره الدفينة بزواجـه تمثل لتجربة الشعر العربي المعاصر ، مما هـو نادر عند سـواه ، فامكنه بذلـك ، ان يضمن لشعره الاداة اللغوية المتينـة والناصعـة واصوره الشعرية استمدادات بلاغية مشرقـة ولبنـاء القصيـدة وهيكلها تماسكا متآزرا.

تنطلق القصيدة المجاطية من جوهر الاحباط الكلي والخيبـة المتعاظمـة التي ابتلـي بـها الانسان العربي في عصر الهزائم وزمـن القهر والتخلف ، ونصب فيهمـا كبوات الزمن الذاتي وعصارة الحرقة الشخصية فيعطينا هذا المزج انفتاحـا على الداخل والخارج ومزاوجة حميمة بينهمـا بمـا يسع مشمول الانا والمجموع وبمـا يجعل كل عـزل او استثناء لاي طرف منهمـا ضربـا من المحال لا يمكـن للقصيدة فيه الا أن تتهافت وتفقد وحدتها العضوية ، جوهر تماسكهـا وامتـلاك النظـرة القوميـة التي تتضمـن التاريخ والمجتمع ، وتشد في قبضة واحدة الماضي والحاضر والمستقبل تعطى للتجربة خصوبتهـا وتـؤهلها لصوغ العناصر الدرامية ، وهي قليلة هينة فـي الشعـر المغربي ، المتعـددة المحاور ، المتراكبة الاطراف ، والمتشكلة من حـوار وصراع عنيف بيـن آكثر من زمن . بيـد ان العنصر الدرامي عند المجاطـي لا يذهب الى حدود بعيدة ، لا لقصور عند الشاعر او عدم القدرة عـلى صياغـة التجربة وطرحها في هذا المستوى ، ولكـن لسيطرة هاجس واحـد ، او بسبب الوقوع تحت ضغط رؤيـة ماساويـة ومرعبة تمتلك النفس من اول بيت الى آخره ، وهي رؤيـة تتجاوز حدود التشاؤم لتصل الى حدود الموقف من الواقع والزمن .

إن ضغط الماساة في العالم الخارجي يتحول في الذات الـى رؤية مشعة ، منهـا تنبجس المفردات والصور والابنية ويتدافع معهـا الحزن الدفيـن والرعشات المرتبكـة والقلق المدمر ، وهي عناصر غير مستعارة ولكنهـا اصيلة وموقفيـة افرزتهـا هزيمة ٤٨ وانتفاضة الدار البيضاء وقمعها في ٦٥ ونكسة حزيران ٦٧ وسيف القمـع المسلط على الرقاب وغذتهـا الاحزان الشخصيـة وتطلعات كل مبدع ـ نحـو مطلقه المستحيـل .

وهكذا تستقطب قصيدة احمد المجاطي محاور ذات مشروخة بالحزن وواقع مكبل بالقهـر وزمن مشدود الى النكسات ، وسيظهـر على مدى سنـوات تطور الشعـر المغربي . ان هذه المحاور الثلاثة هي التـي سيدور حولها شعراء السبعينات ، مع اختلاف وتفاوت في المعـالجة والاحتضان ، ولكنها تبقى في نهاية المطـاف هي العناصر الصميمية في تجربة الشاعر المغربي ، لا يكـاد يحيد عنها ، وهو حتـى حيـن يفيض بالتمـرد ويفجـر غضبه ويهجس بفرح الثورة فهو لا يقدم ذلـك الا في اطار الصورة المشروخة وملفوفا في تصور قائم يعكس، بصدق ، جوهـر العلاقة القائمة بيـن المبدع وواقعه والمصير التاريخي العام .

تجربة المصير بالذات ، هي المشروع الطويل والمنهجي الـذي سيخوضه الشاعـر محمـد السرغينـي ، وسيتخذ منه بحثه الخاص تجربته الشعرية التي ستتسم بالمنهجية والتنظيم ، وسيوفر لهـا صاحبهـا ، امكانات التكامل لتصعـد ، اخيرا بنـاء هرميـا تنشد القمة فيه الى السفح والعكس كذلك . يتوجـه السرغيني راسـا في مشروع رحلة طويلـة للبحث عـن الجوهر والاصطلاء بنار المفقـود والمجهول ، في آن ، وقصيدته لا تستمد عناصر تكوينهـا ومقومـات انطلاقها مما يفرزه اليومي وما يرشح به الظرف العـابر : انهـا تتخطى الجزئي الى الكلي راسـا لا لنفور او استعلاء ، وانما لما يتسم به هـذا اليومـي من طابـع التكرار والجفاف ، ولانه نتـاج اسباب وتناقضات تضرب بعيدا في جذور التربة الاجتماعية والتاريخية .وهذه الجذور هي التـي تغري بالبحث والتتبع وهي التي تمثل اوصـال القصيـدة ، وما كـان محمـد السرغيني ليقتحم مغامرة البحث عـن الجوهـر ومطاردة الجذور لولا توفره على عدة الشاعر الحقيقي ، فهو شان احمد المجاطـي متشبع باخصب ما في الثقافة العربية الاسلامية في جانبيهـا الفكري والادبي ، يضاف الى هـذا اتصال وثيق بالثقافة الغربية ، والفرنسية منها بالذات ، والتيارات التجديديـة فيهـا ادبيـة وفلسفيـة ، الشيء الذي سيساعده على توسيع فضائه الشعري واخصـاب تجربته وتلقيحهـا بمـا لا يتوفـر عليه الموروث العربي .

تجربة السرغيني الشعرية هي بحث في الزمن والوجود ، وهو يرتدي لخوض هذا البحث وانجازه مرة جبة الصوفي، وتارة لبـوس الفيلسوف ، واخرى المتامل الذي قلب عينيه ووجههما صوب الداخـل يقلب ويقايس ويستفتي ولا يعيـا من الابحار ، قد الغى المسافـة بينه وبين الاشياء والخلق المتكدس وتواصل مع النافـر البعيد والمستغلق يخاطب ويستنكه ، وهـو في ذلـك كله قـد صفى الحساب مع الحزن العادي ليعبر من بوابة الحزن الخلاق ، وهذا مـا يخلق بينه وبيـن ما حوله جدارا من الحيـاد ، لان القريب والممكـن معدوم وعقيـم ورموز الوجـود والتاريخ هي القادرة ، عنده ، على تشخيص الجوهر الممعنـة في الهروب . آلا ان الصوفي في قصيدة السرغيني لا يتوله او يرحل بحثا عـن مطلق مستحيل فقط ، وهـو مـا طبع مرحلة خاصة من الزمن الشعري للشاعر ، ولكنه يقفز خطوات في مضمـار مشروعه الخاص ، وذلك حيـن يبدأ في استكناه ما حوله وما يشكل مصدر الشرخ والصدام ، اي حيـن ينزل من قمـة التجربة الصوفية الـى سفح التجربة اليوميـة ، ولكـن دون ان يتخلى عـن نبوءته وخصائصه وابجديته ، ان الصوفي هنا يعـود من رحلة البحث المضنى عن الجوهر ليتخـذ له معشوقـا جديدا يحل فيه ، ومـا هـذا المعشوق سـوى الواقع المرير وغطاؤه الماساوي الـذي انطوى تحته كل الشعراء العرب، وهنا ايضـا ، لـم يات هذا العشق متهافتا او اندفاعيا ولكنه خاضع دائمـا لاداتي المنهجة والتنظيم الصارمين ، وتجنب كل نزيف ذاتي يشوش الرؤيـا او يربك ايقاع العشق الجديد ، وهو عشق ماساوي ، مرعـب ومدمر ، عشـق وثني للاطلس والريف ، وغضب هادر وجريء فيوجه الكهنـوت الحاكم وقيـود التدجيـن والعبوديـة وتقزيم الكرامة .

وقد صنع محمد السرغيني لرحلته هذه الصيغـة الملائمةوالقالب الذي يناسب مقاسها وحجم كثافتها ، اي اكتشف المعادل الموضـوعي الموائم لهمومه ونبوءاته ، وقد صاغ هذا المعادل من القاموس الصـوفي وموروث الاسطورة والميثولوجيا ، ومن الرموز الكبرى للتـاريخ العربي والاحداث المغربيـة ، ولم يكـن يتجه اليهـا عامدا متكلفـا ولكنهـا تاتـي طيعة منسجمة مـع روح النص وتوجهاته ، والاعتماد على العناصر المذكورة اذا كان يجعل القصيـدة مادة مستعصيـة ، احيانا فانه يهبها مؤهلات المناخ الدرامي الذي يعطيها ثقلها الذي ينفرد به السرغينـي عـن بقيـة شعراء جيله .

لقد ساهمت تجربة محمد السرغيني ، بحق ، فـي تصليـب ارضيـة الشعـر المغربي المعـاصر ، وكـان اهـم عطاء قدمته هو كثافتها وشموليتهـا وقدرتهـا على الاستقطاب الفكري والفلسفي والذاتـي وتخطيهـا للافق المحدود للقصيـدة الغنائيـة الى القصيدة الموضوعية

والفضاء الشعري المفتوح واصطناع المناخ الدرامي .

اننا نقف عند احمد المجاطي ومحمد السرغيني لاعتقادنا ،الذي قد لا يكون مريحا بالنسبة للكثيرين ، ان هذين الشاعرين يرمزان لمرحلة بكاملها استطاع الشعر المغربي الجديد ان تنتقل فيها من طور التمرن والتجريب الاولي بحثا عن صوته وسعيا وراء استكمال الشروط الفنية للقصيدة التي تعبر عن احساس الجيل ومعاناته الخاصة ولانهما جدا ، عبر مسيرتهما الشعرية وما تدرجت فيه من مراحل الاطار العام والرؤية المشتركة للابداع الشعري في المغرب ، وهي أهم مرحلة فيه منذ منتصف الستينات الى اوائل السبعينات ، فقد صاغا أطراف هذا الاطار وكونا عناصر الرؤية ، وتبلورت لديهما الاختيارات الفنية والحدسية التي انطبعت بها تجربة الشاعر المغربي .ولعلنا لن نحيد كثيرا عن الصواب اذا قلنا ان مجايليهما حاولوا أن يستعيروا منهما الكثير وان يقتفوا خط سيرهما ، مثلما حاولوا اقتباس كثير من الاساليب والصور من الشعراء العرب في الشرق .

* * *

وقد تهيأ للتجربة الشعرية المغربية الجديدة ان تخطو خطوات واسعة انطلاقا من اوائل السبعينات ، وذلك لتوفر عوامل عدة نستطيع انجازها في الآتي :

اولا ، امكن للمغرب ان يعرف مناخا ثقافيا ناهضا منذمنتصف الستينات نتيجة للنشاط النسبي للصحف والمجلات التي كان بعضها يعنى بالادب والانتاج الثقافي جزئيا أو كليا بحيث ساعد هذا المناخ على تفتح كثير من المواهب وامدها بأدوات الانطلاق ومؤهلات تتجاوز ضعفها وعثراتها الفنية والفكرية .

ثانيا ، التوفر النسبي لامكانات النشر والتي كانت شبه معدومة في الماضي فوجدنا كثيرا من الشعراء يقدمون على طبع نتاجاتهم الشخصية ، اما على نفقتهم او بمساعدة خارجية ، مما ساعدهم على تبلور تجربتهم الاولى وحفزهم على اقتحام المجهول الذي تقلصت خطورته .

ثالثا ، اصبحت العلاقة بالمشرق العربي وطيدة ، وبخاصة مع الكتاب والمجلة المطبوعين في عواصم الشرق العربي ، فتهيأ لشبيبتنا المتأدبة ان تطلع وتقف على دراسات نقدية سديدة ، عربية او مترجمة ، وعلى العديد من نتاجات الشعراء العرب الذين كانوا قد اخصبوا تجاربهم وطوروها وامتلكوا زمام التجديد . لقد كان لهم هذا الاطلاع دليلا وبوصلة في البحث عن النموذج الشعري المنشود، وفي صوغ تجربتهم الشخصية التي ستحمل ، دون ريب ، خاصيات الفعل الشعري والاجتماعي المحلي .

رابعا ، لعبت الجامعة دورا شديد التأثير والبروز ، وكلية الاداب منها على الخصوص ، انه ليوسع الملاحظ ان يرصد هذه الظاهرة ، بسهولة فكل الشعراء ، تقريبا الذين كونوا لهم اسماء حقيقية خلال السبعينات وتفرض نتاجاتهم مكانتها سواء فيالمنشورات المحلية او الخارجية ، هم من خريجي كلية الاداب ، وهذا لا يعني ان هذا الانتماء ، كان هو السبب المباشر ، اذ ان كليات الاداب عندنا على ما هي عليه من تخلف وضعف تأطيرا وبرامج لا تستطيع انجاز هذه المهمة الجليلة ، ولكن لتوفر مناخ خاص، انطلاقا منها ساعد على تفتح المواهب ونضجها .

ولا معدى لنا بعد ذلك ، ان نسجل هنا ان الواقع الاجتماعي والسياسي نفسه ، بما انطبع به من تأزم وجر معه منخيبات مريرة ، تواكبت فيه ضروب القهر النفسي والمادي ، وقد بذرت في نفوس المتأدبين الطاقة الولود التي لم يكن من مجال للتنفس عنها سوى صبها في القالب الشعري ، ولعلنا واجدون في هذا بعض التفسير للعدد المتكاثر من الشعراء الذين بات محيطنا الادبي يحفل بهم .

ان هذه العوامل المباشرة ، وأخرى غيرها ، قد فجرت طاقات شعرية عديدة في المغرب ، وهي طاقات تمكنت من التجربة الشعرية وخاضت هذه الممارسة الابداعية بموهبة ووعي وثقافة ، ملتزمة جميعها وعلى اختلاف أساليبها ورؤاها ، التزاما عميقا بقضايا مجتمعها وجوهر ما يضطرب فيه من مآس ، وهو التزام جعلها تقف في صف قضية الطبقات المستغلة (بفتح الغين) وتثور على الظلم والاستغلال، فلم يتصور الشاعر البتة ، وجوده او تجربته منفصلة عن تجربة المجموع ، ولم تكن رؤيته مهما أغرقت في التعتيم والضبابية او شطت في الغموض والجرح الذاتي ، لم يكن لها اخيرا الا ان تصب في المطهر المشترك المطهر الواقع والمتاجج والفاعل .

ان شعراء مثل محمد بن طلحة ،محمد بنيس ، أحمد بن ميمون ، عماد الدين السعيد ، عبدالله راجع ، علال الحجام ، واخرين غيرهم قد جعلوا القصيدة المغربية فعلا حقيقيا يتخطى مرحلة الامكان والاحتمال الى مرحلة التحقق والحضور الفني والفكري ، وامدوها بنفس تجديد متواصل لا يقف عند حدود نقل صدىالقصيدة المشرقية وانما يقتحمون بها مجالا اوسع يصل احيانا الى صعيد المزج بين الاجناس الادبية في محاولة بحث ومغامرة لا تنقطع حلقاتها.

ولا يفوت الباحث ، وهو يستعرض هذه الاسماء او اخرى غيرها، الا أن يلفت النظر الى حشد اخر من الشعراء يملكون قدرا كبيرا من الثرثرة وانعدام الموهبة وضمور العدة الشعرية اللازمة والذين يركبون الشعر كانه مطية سهلة ثم ما تلبث محاولاتهم أن تبقى حبيسة تخبط اعمى وبدون مخرج بين شعر ونثر مسفين ، ومثل هذا((الكلام)) كثيرا ما يثير الخلط والبلبة ، ولكنه يحمل موته في بذرة ولادته، حتى ولو ظهر في مجلات او كتب مطبوعة .

وأخيرا هل نستطيع أن نتحدث عن تجربة الشعر المغربي المعاصر دون التعرض لما كتب في هذا الشعر بالفرنسية ، ونحن اذ نعتقد ان هذا الشعر ينتمي ـ انتماء حقيقيا ـ الى بيئتنا وشروطنا المجتمعة ، الا ان تقييمه ورصد تطوره الناضج والفائق احيانا ، لا بد من استمدادهما من عناصر تتجاوز مضمار الثقافة الوطنية ، ويجب البحث عنها في اطار ما يسمى بالمثاقفة ، على مستوياتها الادبية والحضارية .

وبعد فان هذه الدراسة ارادت ان تكون بالاساس ، بانوراما تستعرض ـ الخطوط والوجوه الكبرى للشعر المغربي المعاصر ،واداة تقود نحو عوالمه وشعابه ، وقد اعتمدت الاستقراء والتقييم العام اكثر من التحليل او التقييم المخصص والدقيق لاننا ندرك ان هذه العملية تتطلب مشروعا خاصا ودؤوبا لانجازه .

احمد المديني